مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 15، عدد رقم:02، جوان 2026، صص: 415- 426
تاريخ الاستلام(2025/11/14)تاريخ القبول (2026/05/14)تاريخ النشر (2026/06/30)

الخطاب المضاد في الرواية الجزائرية المعاصرة
دراسة في الأنساق الثقافية (نماذج مختارة)

Counter-Discourse in Contemporary Algerian Fiction: A Study of Cultural Systems (Selected Samples)

محمد بن سميشة، بلقاسم زروالة[1]

[1]أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت (الجزائر)، mohamed.bensemicha@cuniv-tissemsilt.dz

[2]أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت(الجزائر)، belgacem.zerouala@cuniv-tissemsilt.dz

ملخص:

تحاول هذه الورقة تسليط الضوء على الخطاب المضاد في الأعمال الروائية الجزائرية المعاصرة، كما تسعى أيضا إلى الكشف عن أبعاده المختلفة التي تبرز في فكرة المقاومة ورفض المقولات الاستعمارية الفرنسية التي تجذرت في اللاوعي الجمعي للرواية الجزائرية عبر ما تفرضه من هيمنة وتشويه للذات الوطنية، فبتركيز الخطاب المضاد على الهوية وتعميق الإنتماء الحضاري فتح آفاقا جديدة عبرت عن مقاومة ثقافية شجاعة أعطت للأدب الجزائري الكثير من المعاني والقيم.

كلمات مفتاحية: الخطاب المضاد: المقاومة الثقافية: الخطاب ما بعد الكولونيالي

Summary:

This paper attempts to shed light on counter-discourse in contemporary Algerian narrative works. It also aims to uncover its various dimensions, which emerge in the idea of resistance and the rejection of French colonial discourses that have become deeply rooted in the collective unconscious of the Algerian novel through their imposed dominance and distortion of national identity. By focusing counter-discourse on identity and deepening cultural belonging, it has opened new horizons that express a courageous cultural resistance, giving Algerian literature many meanings and values.

Keywords: counter-discourse; cultural resistance; postcolonial discourse

[1] **المؤلف المرسل:** محمد بن سميشة، **الإيميل:** mohamed.bensemicha@cuniv-tissemsilt.dz

1. مقدمة :

عرف الخطاب الروائي الجزائري جملة من التحولات في مجال الكتابة الإبداعية، وهذا من خلال التطور الكبير الذي عرفته الأشكال والمضامين تشكل لدى الروائيين وعي جديد يقوم على مراعاة جملة من التحولات على مستوى الأبنية التاريخية والاجتماعية والثقافية، وذلك من خلال جملة من التمثلات السردية التي تعيد صياغة مسألة الهوية، وتعبر عن الحق في الحرية والاستقلال والانتماء الحضاري ورفض الاحتلال بكلّ أشكاله وأطيافه.

لقد استثمر الروائيون الجزائريون أقلامهم في السرد المضاد لفضح آليات اشتغال الخطاب الاستعماري، وذلك بتقويض مقولاته السلطوية عبر الكثير من الأعمال الإبداعية، حيث استطاعوا من خلالها أن يعيدوا للذات الجزائرية المهمشة وجودها، وعملوا على تشكيل هويتها وثقافتها، كما دافعوا عن الثقافة الجزائرية التي كان المستعمر يحتقرها، وأعادوا كتابة التاريخ الجزائري المغيب الذي يكشف عن معاناة المجتمع الجزائري تحت نير الإستعمار الفرنسيّ الغاشم. ولعل من أبرز تلك الأعمال التي واجهت طروحات هذا المشروع الاستعماري أعمال الطاهر وطار، وعبد الحميد بن هدوقة وزهور ونيسي وغيرهم ممن عبروا عن منجزات الإستقلال الوطني، وتثمين مكتسباته الماديّة والمعنويّة، وذلك باستحضار الكثير من الأبطال التّاريخيين والنماذج البطوليّة المقاومة من الماضي المليء بالبطولات والأمجاد. كل هذا يدفعنا إلى التساؤل عن حال هذا الخطاب، فما هو الخطاب المضاد في السرد؟ وكيف تمثلت أشكاله في الرواية الجزائرية المعاصرة؟ وكيف مارس مقاومته الثقافية؟

إن الهدف من هذا البحث هو الكشف عن خصوصية الخطاب الروائي الجزائري الذي يندرج ضمن ما يسمى بالكتابات المضادة للاستعمار، ومحاولة تفسير موقفه من الممارسات الاستعمارية الشنيعة ونفيه للصورة النمطية التي أراد الاستعمار فرضها على الشعب الجزائري المستعمر، واستبدالها بصورة ديناميكية تعبر عن الثقافة الجزائرية وتعيد الاعتبار للهويات المهمشة كما أنها تقدم أيضا مشهدا حيا للعالم عن نضالات الشعب الجزائري وحلمه في الحياة.

2. الخطاب الكولونيالي/ الاستعماري:

ظهرت الكولونيالية كحركة استعمارية ترتبط بتلك الدولة التي تفرض «حكمها أو سيطرتها السياسية أو الاقتصادية خارج حدودها على دولة أخرى وشعبها دون رضاه، معتمدة في الأساس على الاحتلال العسكري لأراضي تلك الدولة»[1]، وهي تمارس سياستها سعيا وراء مصالحها، وذلك للاستفادة من موارد وشعوب المنطقة المستعمرة.

لقد نتج عن هذه الحركة الاستعمارية خطاب غربي جديد يهدف إلى زعزعة وخلخلة نظام الدول الضعيفة من الداخل ونهش مقوماتها وطمس هويتها، وهو يعتمد في الأساس على تزييف الحقائق، وذلك كله بغرض خدمة مصالحه الاستعمارية والترويج لها والدفاع عنها، بل وتعدى الأمر إلى أكثر من ذلك، فالدول المستعمرة سعت «إلى تشويه صورة الآخر المستعمر، فقد جعلته شرا مطلقا، إنه عنصر متلف يدمر كل ما يقاربه، عنصر مخرب يشوه كل ما له صلة بالجمال والأخلاق، إنه مستودع قوى شيطانية، أداة لقوى عمياء، أداة لا وعي لها ولا سبيل لإصلاحه»[2]، وهي كلها قرارات اتخذتها اتجاه الدول المستعمرة لقناعتها بتفوقها الشخصيعليها وبتفويضها المحتوم للحكم، وهذا ما أدى إلى ظهور خطاب مضاد يرفض هذه السياسة الإيديولوجية التي رسمها المستعمر بما يملك من سلطان ونفوذ.

3. الخطاب المضاد في السرد:

يقوم الخطاب المضاد في السرد على الرد على الخطاب الغير مرغوب فيه بدلاً من تجاهله، وذلك للاعتقاد أنه ضار وخطير، وهو يستهدف جانبين: القارئين بأمل تغيير أرائهم في الوسط المتحرك، والثاني هو دعم الأشخاص الذين تعرضوا للتشويه أو الهجوم والتخفيف عن الآثار السلبية التي تستهدفهم«وذلك كله في المدار الذي لا يفارق فخ الهوية الذي يصر على التقابل الضدي بين الأنا والآخر»[3].

إن هذا الخطاب ما هو إلا سرد مغاير ومناهض للخطابات الكولونيالية، حيث يقوم بتهشيم وتفكيك المركزية الغربية، وفضحُ السياسات الاستعمارية بمختلف أشكالها من خلال اتخاذه لموقف المُواجهة والمقاومة للخطابات «السائدة التي سيطرت على الساحة الأدبية، وكذلك طعن وتفكيك لتلك النصوص وتقويض لمركزيتها وإعادة إنتاج نصوص أخرى مضادة ومعارضة لها"[4]، وتشير الدراسات أن ظهوره في السرديات يعود إلى"الثورة التي

شهدتها فرنسا في الستينات والسبعينات ضد الإيديولوجية السائدة، حيث تمكنت الحركات الهامشية من الظهور والإعلان عن حضورها»[5]، أما في الوطن العربي فإنه ازدهر مع ادوارد سعيد الذي يعتبر من أبرز رواد ومنظري هذا الحقل المعرفي، وأنه ارتبط من منظوره «بالمقاومة الثقافية فهو يمكّن الأمة المستعمرة من استرجاع هويتها، وترميم وجودها من جديد، وذلك بالاعتماد على العناصر القومية التي شكك فيها المستعمر في المقام الأول»[6] وعدم قبول أي فكرة متعالية تمحي وجودها، فهذا النمط من السرد يقف في وجه المركزية الغربية ويعمل على استرجاع الهوية الوطنية والقومية. فهو وسيلة للتعبير عن الآخر، وتعرية الإيديولوجيات التي تحملها الخطابات الكولونيالية أو ما يعرف بالسياق الاستعماري.

4. تمثلات المقاومة الثقافية في الرو اية الجز ائرية:

توجبميلاد الخطاب المضاد في الرواية الجزائرية بموجب ارتباطه بمصطلح الاستعمار الذي يُعد من أقذر المخططاتالرامية إلى أهداف غير مشروعة تاريخيا وإنسانيا، فمن خلاله استطاع الكتاب الجزائريون أن يعيدوا للذات الجزائرية المهمشة وجودها ويركزوا على حضورها وعلى وقوفها خصما عنيدا في مواجهة الاستعمار ويطيحوا بالمركزية الكولونيالية التي بسطت نفوذها ومركزيتها على الساحة الأدبية والسردية على مدى عصور طويلة، فرسموا بذلك صورة جديدة مغايرة، وقد تم لهم ذلك من خلال استعارتهم لسلاح الكتابة الروائية وتوجيهها كأداة نضال ومقاومة ضد المستعمر الذي جعل الجزائر مسرحا لجرائمه، فكان هذا الخطاب الجديد تصحيحي من خلال بلورته لأهم المفاهيم التي قدمها الاستعمار عن الجزائر المهمشة، حيث أبرز «صورة الفرنسي الظالم المستبد الوحشي، صاحب الشخصية المريضة الشاذة، وذلك حتى يولد في أعماق القارئ نفورا وكراهية قوية اتجاه الاستعمار الفرنسي»[7].

أعلن المنجز الروائي الجزائري بإمكانياته الإبداعية والتخييلية عن مقاومة ثقافية تكشف النقاب عن المشهد التمثيلي للحركات الكولونيالية، التي استحوذت على العقول المفكرة وعبأتها لخدمة مصالح المركزية الغربية، فهذه المقاومة لا تقبل الواقع إلا في إطار إعادة النظر والمراجعة نحو رسم الحقيقة في صورة أكثر واقعية يلتحم فيها المتخيل أولا للتعبير عن الحياة الجزائرية المعاشة في ظل سلطة الاستعمار الفرنسي، وثانيا للرد على

سياسته، وذلك باستعمال منهجية التشتيت وفضح مكائده الكولونيالية. وحتى نفسر هذه الثنائية الضدية من صراع وعنف واستلاب بين الأنا والآخر سنقوم بتحليل مجموعة من الروايات التي تعالج قضية الهوية والانتماء في ظل في كتابة مضادة، وذلك من خلال الصراع النفسي الذي تعاني منه الشخصيات الروائية بين الانتماء الوطني من جهة، والهوية المكتسبة من جهة ثانية.

1.4 تمثلات المقاومة الثقافية في رواية "خيام المنفى" لمحمد فتيلينه:

تقوم هذه الرواية على المواجهة النصية التي تكشف عن اتساع أفق السرد في استيعاب الحياة الجزائرية بإشكالاتها وهمومها، وطرحها طرحا نقديا في خطاب مضاد يتصدى للعبث الاستعماري، وذلك باستحضار كل أشكال العنف من قتل وتنكيل وتهجير ونهب وتدمير، فالكاتب محمد فتيلينه يتمرد فيها ويروي وقائع منسية بكثير من التفاصيل التي أسقطها التاريخ وسكت عنها في زيف وتصغير لحجم معاناة الجزائري، وهو يستعيدها تخييلا وانتفاضة، إذ يعود من خلالها إلى فترة الاستعمار الفرنسي والحصار الذي كان يفرضه على الجزائريين، كما أنه يكشف أيضا لنا عن تلك الصورة التي يرسمها لنا الغرب اتجاه الذات الجزائرية بأنها ذات متخلفة تحتاج إلى من يدعمها ويساعدها على الخروج من بوتقة التخلف، وهذا في الحقيقة ترويج زائف، فما كانت تريده فرنسا ليس تفتيحها على الحضارة، بل هو إبادة الشعب الجزائري وقهره وإذلاله ونهب ممتلكاته، وهذا يتضح من خلال تلك الجرائم التي مارسها الفرنسيون في حقهم دون أن يعاقبوا على جرائمهم التي خلفت العديد من التراكمات النفسية والجسدية والاجتماعية، من بين تلك الجرائم قتل البدوي «مازال صوت الأعجمي يسري إلى ذاكرة تركي بعد أن سمع دوي بندقية فرنسية وهي تبعث بلهيبها إلى صدر البدوي، غابت عن ذاكرة تركي صورة الرجل، ولم يرسخ فيها غير نزيفه وهو مُلقى على الأرض ومن حوله بعض الأفراد _ يبعث بعضهم بتنهدات بالكاد سمعها تركي: مسكين العربي _ الله يرحمه، لا غنم بقيت ولا حياة»[8].

هذه التجربة الروائية سجلت ألما ومعاناة وحالات نفسية أخرى تجسدها حالات القهر والذل التي أصابت الشعب، حتى أصبح جل تفكيرهم منصبا على كيفية خلاصهم وحريتهم منهذا الجحيم القادم الذي قد يكون مصير كل جزائري.

وصف محمّد فتيلينه أيضا في روايته وبعمق مؤلم جدا معاناة الشعب الجزائري والقمع الذي مُورس في حقهم من طرف مصاصي الدماء، وهو ما نتج عنه صراع بين الأنا والآخر أعاد للذات الجزائرية المهمشة وجودها وهويتها من خلال عناصر المجابهة والصمود والتصدي، ومن بين هذه المواجهات المعاملة السيئة للشيخ التلي من طرف الضابط فرانسوا نتيجة إحساسه بالتعب، والذي لقي الرد سريعا بقتله من طرف ابن الشيخ «هوى الشاب على الضابط بسرعة كالبرق، وهو يصيح صيحة هستيرية: الله أكبر....تأكد سالم والجند العرب المرافقون أن ضربة التلي، التي أسقطت الضابط القوي وأسكتت فمه الأعجمي مميتة، إذ بدا جسمه المرمي بعدها دون أدنى حراك، وأمسى خلال أقل من ثانية، ككتلة من اللحم امتص الهواء منها كل طاقة»[9]، فهذا الصراع دفع الذات الجزائرية إلى أن تقاوم ضربات الإستعمار بكلّ الأشكال والطرق، وذلك كله لتجسيد حضور الوطن والوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي ومواجهة عدوانيته.

تلاقت هذه الأحداث على لسان تركي الشاب الجزائري المتآسي بالذكرى والألم في تجربة ممتعة تزاوج فيها الواقع والخيال لنقل جزء من معاناة الشعب الجزائري وتضحياته وكفاحه إبان الاحتلال الفرنسي دون أن يصاب بالغرور، والكاتب بهذا إنما أراد أن يمرر رسالة فكرية تحمل هاجس الرد على الآخر وفضح مكائده الكولونيالية بما تحكيه عن هذا الوطن المجروح تحت الظلم والمجازر، وقد تم ذلك عبر كثافة سردية تجعل القارئ يستنكر الخطاب الاستعماري وكل من أراد إنهاء الجزائر ومحو هويتها الإسلامية العربية، فالقارئ عليه أن يتلقف أزمات الجزائري ويضعها ضمن إطار التذكر استعادة لوطنه حتى لا يفقد الجزائري هويته الجزائرية.

2.4 تمثلات المقاومة الثقافية في رو اية "الانطباع الأخير" لمالك حداد:

رواية (الانطباع الأخير) لمالك حداد هي من الروايات التي لاقت اهتماما خاصا وذلك لموضوعها المثير للجدل، فهي تطرح قضية جوهرية شغلت الدراسات النقدية والأدبية إلى يومنا هذا، وهي قضية الأنا والآخر وما أفرزته هذه الثنائية من صراع وعنف، فالروائي يكتب سردا مضادا من وجهة نظر جزائرية ضد الخطاب الثقافي الذي انبنت عليه حضارة الغرب، كاشفا من خلال ذلك عن الأزمة التي تعانيها الذات الجزائرية في ظل تحديات الهوية التي فرضها المستعمر،كما أنه يسعى أيضا إلى استظهار دور السرد المضاد في إحياء المقاومة

الثقافية ضد اغتصاب الوطن وجرح الهوية وطمس الشخصية، وذلك من خلال شخصية سعيد المهندس المعماري الذي يقع في صراع «بين هناء عيشته في كنف المستعمر ووعيه بأصله وهويته من خلال مساعدة أبناء وطنه»[10]، فيختار عودته لذاته والاستجابة لنداء الوطن، وذلك بمساعدة الثوار على هدم الجسر الذي يعتبر من أبرز نجاحاته، والذي استغله عساكر العدو في العبور ومرور الدبابات، ويتضح ذلك من قوله: «إني كالآخرين، إني مع الآخرين أفهم خبزهم وبندقيتهم، أتحدث عن أمي كما يتحدثون عن أمهم ، أقبل أبنائي كما يقبلوا أبناءهم، أخاف السلب كما يخافونه، إني كالآخرين كل شيء يربطني بهم، كل شيء يجعلني مماثلا لهم ... الوحيدون الذين أستطيع أن أفهمهم فعلا هم أهلي»[11]."فهذا المشهد متجذر في الواقع يظهر تحدي الجزائري الذي يسعى إلى لملمة أشلائه وتجاوز مرحلة الصدمة الكبرى نتيجة الشعور بالاغتراب النفسي وفقدان الإحساس بالهوية والانتماء، وهذا بسبب التصور الذي فرضته المركزية الغربية بأفضليتها على باقي الشعوب.

إن مالك حداد في هذه الرواية ابتكر نوعا جديدا من السرد دشن مسارا مضادا لسياسات الاستدمار وينهض على تلك المرجعية التاريخية التي تطرح واقعا معيشيا مأساويا ضمن سياق إنساني عالمي يعيد تحوير الواقع وفق علاقة اتصالية تومئ بمعاناة الجزائري وما يكابده من ضروب القسوة والاغتراب والشتات والألم، فسعيد يعيد النظر في ماضيه وحاضره ومستقبله، وهو ما ولد لديه تضخم الإحساس بالذات والتفوق والسيطرة، وهذا ما يتضح في قوله: «آن الأوان ليلتحق كل واحد بطائفته»[12]، فهو يبحث عن المقاومة والصمود للدفاع عن وجوده أمام أشكال القوى الكولونيالية المهيمنة واسترداد ما سلب منه مثل التحرر واسترجاع الهوية والوطن.

لقد استهل الكاتب تجربته بحضور جزائري مضاد لتلك المساعي التي تسعى إلى طمس وإلغاء الهوية الجزائرية واستبعاد الصوت الجزائري من قبل الاستعمار الذي لطالما أسس لنفسه هيمنة تكبل الجزائري وتزرع اليأس في نفسيته، وقد أوضح الكاتب هذا من خلال شخصية الشاب سعيد، فعلى الرغم من أنه كان منبهرا بالثقافة الفرنسية وحبه لفتاة فرنسية (لوسيا) إلا أنه استطاع في الأخير أن يحقق وطنيته وأن ينتقل من مرحلة اليأس والتفجع إلى مرحلة المقاومة، وذلك من خلال مساعدته للثوار على تهديم الجسر الذي

استغله المستعمر للاستيلاء على القرى وزرع الرعب والخراب «تخرب الجسر ... من الآن فصاعدا لن تمر مواكب الموت من هذا الطريق»[13].

هكذا انفتح هذا النص على حقائق تاريخية تتعالق مع الواقع لفك وتشتيت المقولات المركزية التي انبنت عليها حضارة الاستعمار، والذي لطالما حمل في طياته نزعة عدائية إزاء الشعب الجزائري، وقد تم ذلك كله في تجربة روائية تروي ما لا ينسى ولن ينسى، ذلك لأن الرواية هي الجنس الأدبي الأقدر على توصيف هذه المأساة التي عاشتها البلاد.

3.4 تمثلات المقاومة الثقافية في رو اية (أنا وحاييم):

رواية (أنا وحاييم) هي رواية تندرج ضمن إطار الأدب ما بعد الكولونيالي أو ما يسمى بالمقاومة الثقافية، حيث يوظف فيها الروائي الحبيب السايح السرد كإستراتيجية مضادة لمواجهة الثقافة الغربية الاستعمارية،كما يسعى من خلالها أيضا إلى استرجاع الهوية الوطنية وترميم وجودها من جديد عبر منجزات الثورة وتثمين مكتسباتها، وذلك بإستحضار الأبطال التاريخيين، والنماذج البطولية والاعتزاز بالمقومات الوطنية التي ظلت راسخة على مر العصور رغم هجمات المستعمر «فقد كان الفدائيون ينفذون عملياتهم في المدن بكل شجاعة من أجل حرية الوطن ... ونتيجة للخسائر التي تكبدها الجنود الفرنسيون والهزيمة المخزية قرر المحتل مغادرة الجزائر مرغما وكان الشعب الجزائري يترقب نتائج استفتاء الاستقلال.»[14]

إن هذه الرواية لا تختلف عن الروايات التي سردت بطولات شعوب ثارت ضد الاستعمار، فهي تُصور ما تعرض له الجزائريون إبان الاحتلال الفرنسي من جرائم وحشية وتمييز عنصري مُورس ضد أبناء الجزائر، يقول السارد: «قد رتبونا بقوة أحكامهم المسبقة، ضمن خانة الأنديجان، تلك كانت نظرة الأقدام السوداء الأوربيين جميعا إلى غيرهم من الأهالي في البلد كله»[15]، فهذا المشهد يصف المأساة والظلم الذي كان يتخبط فيه أرسلان وحاييم وغيرهم، حيث كان الاستعمار يشبهونهم بالأنديجان، وهو ما ولّد الانفجار بالنسبة إليهم، فرأوا أن الحل هو الثورة والالتحاق بالكفاح المسلح، وذلك كله من أجل تحقيق الاعتراف والحضور الإنساني.

لقد تمت هذه الأحداث من خلال استرجاع أرسلان الشاب المسلم لماضيه مع صديقه حاييم اليهودي، هذا الماضي الذي يحمل في طياته ذكريات مؤلمة، فعلى الرغم من الاختلاف

العرقي والديني إلا أنهما كانا يشعران بعمق المأساة والظلم الذي يتخبط فيه الشعب الجزائري، خصوصا وأن فرنسا مارست كل أشكال الترغيب والترهيب لتسلبه هويته وتقيد حريته، يقول السارد: «كانت تنفذ الإعدامات شنقا وفصلا ورميا بالرصاص في حق مقاومي الاحتلال من الأهالي»[16]، وهذا ما جعلهما يلتحقان بصفوف الثوار، فأرسلان التحق بالكفاح المسلح، أما حاييم فقد وهب صيدليته للجرحى في صفوف المناضلين، فما «يجب لإزالة الظلم التاريخي، يتطلب ثورة مسلحة»[17].

لقد بنا نص (أنا وحاييم) هويته السردية من خلال شخصيات متعددة لعل أبرزها أرسلان وهو شاب في مقتبل العمر تحدى المستعمر واستنكر الآثار التي خلفها على جميع النواحي من إبادات ونبذ وقمع ومجازر، بل تخطى ذلك إلى تشويه وتدنيس صورة المستعمر وجعله يظهر أقل حضارة من الفرنسيين، هذه الصورة المزيفة اتخذها المستعمر ذريعة وحجة واهية لإبادة وارتكاب جرائمه الشنيعة في حق الشعب الجزائري، بل كان يفتخر بهذا العنف ويبرر ذلك بأن رسالته الحضارية تحتم عليه حق ذلك، وهذا ما كان يؤلم أرسلان ويوجعه «ظلت تحزنني صور الفقر والحرمان والتشرد التي عليها الأهالي بالقدر الذي أغاظتني العنصرية التي كانت غالبية الأقدام السوداء والأوربيين تظهرها تجاه الأهالي المسلمين»[18]، فهذه الصورة تعكس معاناة الشعب الجزائري من استعمار جرب كل أساليب القمع حتى يسيطر ويهيمن على هذه الأرض الطاهرة.

إن الخطاب الاستعماري الذي ولده الغرب جعل الحبيب السايح ينتفض من جهة بقوة القلم على السياسة المتبعة من طرف الاستعمار في نهب وسلب الحقوق وتهميش الأرض، وثانيا يعرض من جانب أخرى صور الفرحة بالاستقلال حيث كانت تتخللها «هتافات تحيا الجزائر ترتفع من وسطهم، فتموج إلى أبعد نقطة في الشوارع الخمسة. ثم تخبوا، ثم تتلوها أخرى في إيقاع كوريغرافي مثير وخالب، تتخلله زغاريد قوية وحادة كأنها من حناجر نحاسية»[19].

لقد كان هذا النص بمثابة مقاومة ثقافية واجهت طروحات المشروع الكولونيالي، وذلك من موضع الاعتراف والاحتجاج على العنف الذي مارسه الاستعمار ضد الشعب الجزائري، والذي لطالما توغل في تمثيله لسياسات الاستبداد والتعسف ومحو الهوية

وتغييبها، فهذا الخطاب الروائي صحح مسارات الخطاب الاستعماري الذي تموقع بين إصرار الجزائري على مواجهة الآخر ودحض ألاعيبه وحماية الهوية الجزائرية من الانمحاء.

5.خاتمة:

من خلال هذه الدراسات تبيّن أن النص الروائي الجزائري المضاد أحدث تشكيلة فنية ديناميه صححت مسارات الخطابات الثقافية الاستعمارية وعرّت أوجه الخلل فيه، فالخطاب الاستعماري هو خطاب غير نزيه ولا يمكن الوثوق بمنهجيته وموضوعيته، فهو يلغي قضية الهويات وتفاوت العقائد والثقافات، ولعل هذا ما جعل الرواية الجزائرية تعيد استنطاقه على أرض تنافي تماما ما حصل في الجزائر، وذلك بتأكيد الحقيقة في صورة أكثر واقعية يلتحم فيها المتخيل للرد على الآخر وفضح مكائده الكولونيالية.

في الأخير يمكننا القول إن الانفتاح على هذه النظرية الثقافية جعل الخطاب الروائي الجزائري يتسم بالطليعة ويتبوأ موقعا هاما في الأدب العربي وحتى العالمي، فقد شكل مقاومة فعالة أعادت صياغة الكثير من المفاهيم الثقافية والسياسية، وذلك من خلال إعادة النظر في مقولات الخطاب الكولونيالي، والوقوف في وجه التهميش والتغريب أو ما يعرف بظاهرة "الاستغراب".

6. الإحالات والهوامش:

[1]بيل أشكروفت، جاريت جريفيث وآخرون، الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، تر: شهرت العالم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006، ص330-331.

[2] فرانز فانون، معذبو الأرض، تر: شولي، موفمللنشر،الجزائر، د ط،2007، ص08.

[3] إيهاب الأخضر إرهاصات النظرية ما بعد الكولونيالية وتقويض الخطاب الاستعماري الخطاب الادواردي مثالا، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، م15، ع2، جامعة طاهري محمد، بشار، 2024، ص543.

[4] مريم بن بعيش، تجاذبات المركز والهامش في رواية معارضة الغريب لكمال داود، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، م11،ع1، جامعة تامنغست، الجزائر، 2022، ص512.

[5]المرجع نفسه، ص512.

[6] إدريس الخضراوي، السرد موضوعا للدراسات الثقافية، مجلة تباين للدراسات الفكرية والثقافية، م2،ع7، دراسات وأبحاث في اللغة والتاريخ والهوية، 2014، ص129.

[7]شريبط أحمد شريبط، دراسات ومقالات في الأدب العربي الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د ط، 2003، ص55.

[8] محمد فتيلينة، خيام المنفى، دار بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2016، ص9.

[9] المرجع نفسه، ص71.

[10] نبيلة فراحتية، نعيمة بوزيدي، تشظي الهوية وانشطار الذات في الخطاب الروائي الجزائري ما بعد الكولونيالي، قراءة في روايتي الانطباع الأخير وما لا تذروه الرياح، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع1،منشورات جامعة الوادي، الجزائر، 2021، ص759.

[11] مالك حداد، الانطباع الأخير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص84.

[12] المرجع نفسه، ص42.

[13] المرجع نفسه، ص125.

[14] حسين عبد الحكيم، ثيمة الثورة في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية أنا وحاييم للحبيب السائح أنموذجا، مجلة المعيار، م15،ع1، جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت، الجزائر، 2024، ص139.

[15] الحبيب السايح، أنا وحاييم، دار تميم، الجزائر، ط2018،1 ص24.

[16] المرجع نفسه، ص98.

[17] المرجع نفسه، ص86.

[18] المرجع نفسه، ص75.

[19] المرجع نفسه، ص219.

7. قائمة مصادر البحث ومراجعه:

1. إدريس الخضراوي، السرد موضوعا للدراسات الثقافية، مجلة تباين للدراسات الفكرية والثقافية، م2،ع7، دراسات وأبحاث في اللغة والتاريخ والهوية، 2014، ص107-136.

2. إيهاب الأخضر، إرهاصات النظرية ما بعد الكولونيالية وتقويض الخطاب الاستعماري الخطاب الادواردي مثالا، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، م15،ع2جامعة طاهري محمد، بشار، ، 2024، ص382- 363.

3. بيل أشكروفت، جاريت جريفيث وآخرون، الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، تر: شهرت العالم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006.

4. الحبيب السايح، أنا وحاييم، دار تميم، الجزائر، ط1،2018.

5. حسين عبد الحكيم، ثيمة الثورة في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية أنا وحاييم للحبيب السائح أنموذجا، مجلة المعيار، م15،ع1، جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت، الجزائر، 2024، ص134-141.

6. شريبط أحمد شريبط، دراسات ومقالات في الأدب العربي الجزائري، المؤسسةالوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د ط، 2003.

7. فرانز فانون، معذبو الأرض، تر: شولي، موفمللنشر،الجزائر، د ط،2007.

8. مالك حداد، الانطباع الأخير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

9. محمد فتيلينة، خيام المنفى، دار بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2016.

10. مريم بن بعيش، تجاذبات المركز والهامش في رواية معارضة الغريب لكمال داود، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، الجزائر، م11،ع1، 2022، ص508-524.

11. نبيلة فراحتية، نعيمة بوزيدي، تشظي الهوية وانشطار الذات في الخطاب الروائي الجزائري ما بعد الكولونيالي، قراءة في روايتي الانطباع الأخير وما لا تذروه الرياح، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع1، منشورات جامعة الوادي، الجزائر، 2021، ص749- 770.